

مجمع الأمثال

2028 - أَشْأَمُ مِنْ الْبَسُوسِ .

هي بَسُوسُ بنت منقذ التميمية خالَةَ جَسَّاسِ بن مُرَّة بن ذُهَل الشيباني قاتل كليب وكان من حديثه أنه كان للبسوس جارٌ من جَرَمٍ يقال له سعد بن شمس وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب وكان كليب قَدَّ حَمَى أرضاً من أرض العالية في أنف الربيع فلم يكن يرعاه أحدٌ إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما وذلك أن جليلة بنت مرة أخت جَسَّاس كانت تحت كليب فخرجت سَرَابُ ناقةُ الجرمي في إبل جَسَّاسٍ ترعى في حمى كليب ونظر إليها كليبُ فأنكرها فرماها بسَهْمٍ فاختلَّ ضَرَعُها فولَّت حتى بركَتُ بفناء صاحبها [ص 375] وضَرَعُها يَشْخُبُ دماً ولبناً فلما نظر إليها صرخ بالذل فخرجت جارية البَسُوس ونظرت إلى الناقة فلما رأت ما بها ضَرَبَتْ يدها على رأسها ونادت : وَا ذُلَّاهُ ثم أنشأت تقول . :

لعمرك لو أصْبَحْتَ في دار مُنْقَذٍ ... لما ضَيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأبياتي .
ولَكِنَّني أصْبَحْتُ في دار غُرْبَةٍ ... مَتَى يَعدُّ فيها الذئبُ يَعدُّ على شاتي .

فيا سعدُ لا تُغَرِّرْ بنفسك وَا رْ تَحِلْ ... فَإِنَّكَ في قومٍ عن الجارِ أُمُواتٍ .
ودُونَكَ أذْوَادِي فَإنيَ عنهم ... لَرَّاحِلَةٌ لا يُفْقِدُنِي بُذَيَّاتي .
فلما سمع جساس قولها سكنها وقال : أَيَسْتَهْأ المرأة ليقْتُلَنَّ غداً جملٌ هو أعظم عَقْرَاءٍ من ناقة جارك ولم يزل جساس يتوقَّع غِرَّةَ كليب حتى خَرَجَ كليبٌ لا يخاف شيئاً وكان إذا خرج تباعدَ عن الحي فبلغ جساساً خروجُهُ فخرج على فرسه وأخذ رمحه واتبعه عمرو بن الحارث فلم يدركه حتى طعن كليباً ودَقَّ صُلَابَهُ ثم وقف عليه فقال : يا جساس اغثني بشرِّ بَةِ ماء . فقال جساس : تركتَ الماء وراءك وانصرف عنه ولحقه عمرو فقال : يا عمرو اغثني بشربة فنزل إليه فأجْهَزَ عليه فضرب به المثل فقيل : .

المستجيرُ بِعَمْرِو عند كريبه ... كالمستجير من الرَّمِّضَاء بالنار .
قال : وأقبل جساس يركضُ حتى هَجَمَ على قومه فنظر إليه أبوه وركبته بادية فقال لمن حوله : لقد أتاكم جساس بداهية قالوا : ومن أين تَعْرِف ذلك ؟ قال : لظهور ركبتيه فَإني لا أعلم أنها بَدَتْ قبل يومها ثم قال : ما وراءك يا جساس ؟ فقال : واللَّهِ لقد طَعَنَتُ طعنةً لتجمعن منها عجائز وائل رقفاً قال : وما هي ثكلتك أمك ؟ قال : قتلت كليباً قال أبوه : بئس لعمر الله ما جَنَذَيْتَ هلى قومك فقال جساس : .

تَأْهَّبْ عَنْكَ أَهْدِيَّةَ ذِي امْتِنَاعٍ ... فَإِنَّ الْأَمْرَ جَلٌّ عَنِ التَّسْلَاحِ .
فإني قد جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرًّا بَاءً ... تُغْصُّ الشَّيْخَ بِالماءِ الْقَرَّاحِ .
فأجابه أبوه .

فإن تَكُ قَدَّ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرًّا بَاءً ... فَلَا وَانٍ وَلَا رَثٌّ السَّيْلَاحِ .
سَأَلِسْتُ ثَوْبَهَا وَأَذْبَّ عَنِّي ... بِهَا يَوْمَ الْمَذَلَّةِ وَالْفَضَاحِ .

قال : ثم قَوَّضُوا الأبنية وجمعوا الذَّعَمَ والخيول وأزمعوا للرحيل وكان همام بن مرة أخو جساس نديماً لمهلل بن ربيعة أخي كليب فبعثوا جاريةً لهم إلى همام لتعلمه [ص 376]
[لخبر وأمروها أن تسره من مهلهل فأتتهما الجارية وهما على شَرَائيهما فسارَّتا هماما بالذي كان من الأمر فلما رأى ذلك مهلهل سأل هماما عما قالت الجارية وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً فقال له : أخبرتني أن أخي قتل أخاك قال مهلهل : أخوك أَضْيَقُ اسْتِئْتَاءً من ذلك وسكت همام وأقبل على شَرَائيهما فجعل مهلهل يشرب شُرْبَ الآمِنِ وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرُ مهلهلاً أن صَرَغَتْهُ فَأَرْسَلَ همام فرأى قومه وقد تحملوا فتحمل معهم وظهر أمرُ كليبٍ فقال مهلهل لنسوته : ما دها كن ؟ قلن : العظيم من الأمر فَتَلَّ جساسُ كليبا ونَشَبَ الشر بين تغلب وبكر أربعين سنة كلها يَكُون لتغلب على بكر وكان الحارث بن عُيَاد البكري قد اعْتَزَلَ القومَ فلما استَحَرَّ القتلُ في بكر اجتمعوا إليه وقالوا : قد فَدَيْ قَوْمُكَ فَأَرْسَلَ إلى مهلهل بجيراً ابْنَهُ وقال : قل له أبو بُجَيْدٍ يقرئك السلام ويقول لك : قد علمتَ أَنِّي اعتزلتُ قومي لأنهم طَلَمَوْكَ وَخَلَّيْتَهُمْ وإياهم وقد أدركت وَتَرَكْتَ فَأَنْشَدَكَ اللّهُ في قومك فأتى بجيراً مهلهلاً وهو في قومه فأبلغه الرسالة فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : بجير بن الحارث بن عُيَاد فقتله ثم قال : بُوْءُ بَشِيسَعٍ كليب فلما بلغ الحارثَ فعلُهُ قال : نعم القَتِيلُ بجير إن أَصْلَاحَ بين هذين الغارين قتله وسكنت الحرب به وكان الحارثُ من أحلم الناس في زمانه فقبل له : إن مهلهلاً قال له حين قتله بُوْءُ بَشِيسَعٍ كليب فلما سمع هذا خرجَ مع بني بكر مقاتلاً مهلهلاً وبني تغلب ثائراً ببجير وأنشأ يقول : .

قَرَّ بَاءَ مَرِّ بِطِ النَّعَامَةِ مِنِّي ... إِنَّ بَيْعَ الْكَرِيمِ بِالشَّيْءِ غَالِي .
قَرَّ بَاءَ مَرِّ بِطِ النِّعَامَةِ مِنِّي ... لَقَحَحَتْ حَرُّبُ وائِلٍ عَنِ حِيَالِ .
لم أكن من جُنْدَاتِهَا عَلامَ السِّلِّ ... هُوَ وَإِنِّي بِشَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي .
ويروى " بِحَرِّهَا " والنعام : فرسُ الحارث وكان يقال للحارث : فارس الذَّعَامَةِ
ثم جمع قومه والتقى وبني تغلب على جبل يقال له قُضَّة فهُزِمَهم وقتلهم ولم يقوموا لبكر بعدها